

هَمْزَةُ الْوَصْلِ

همزة الوصل

تقديم: عبد الكريم شنيينة

الطبعة الثالثة - كانون الأول ٢٠١٨

لوحة الغلاف بريشة

رلى درباس

الإخراج الفني

رضا مفلح



منتدى
طرابلس الشعري

مؤسسة شاعر الفيحاء
سابا زريق الثقافية



المقدمة

عبد الكريم شنيينة

إنها المجموعة الأولى لرجل بلغ أشدّه، وأوفى على
الخمسين بحساب الأيام والجمع والشهور والسنوات.
وهي على تنوّع نصوصها، وترجّحها بين الشكل العمودي
المعروف وشعر التفعيلة، الساعةُ الوجدانية التي تقاس بها
حياة الأعماق بالكلمة إبداعاً، وليس بالزمن الهارب ثانية
ودقيقة.

وكما تضطرب الساعة البيولوجية للمسافرين حين
يتم السفر من منطقة إلى منطقة ومن حيّز إلى حيّز آخر

تضطرب هذه الصفحات في رحلتها الورقية من نفس
الشاعر إلى عقل القارئ وقلبه ووجدانه.

هي بين قطبين على الأرجح، جنة القبول والترحيب
وجحيم الرفض والصمت واللامبالاة. والمؤسف أن المأساة
في الحالين لا علاقة لها بالمقول، بل بالقائل ومدى ضيق
علاقاته الاجتماعية واتساعها وجمهرة المحبين والحساد.

والجواب قول المتنبي:

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانُ مِنْهُ
عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

هذه المقدمة تحاول لجم حماسة المستبشر
والتخفيف من غلبة الرفض التي تهتك غلاف الكتاب
وحبره الماطر بالإعراض عنه وعدم الإفادة من غنمه ولو
حمل المؤلف الغرم كله على حد تعبير الجاحظ.

يقولون، التقليد موتٌ والإبداع حياة. ربما لأنه زمن
إنسانيٍّ حيٍّ، أو لأن ما هو أصيل في جوهر البشر باقٍ

ببقاء النوع، بالرغم من اختلاف العصور وتنوع البيئات والثقافات.

بكلمة، أقدم هذه المجموعة إلى قراء العربية، من خلال موقف يفهم الشعر على أنه كتابة إبداعية تغتني بالموثور الجمالي العربي دراسةً وتذوقاً وفهماً لعملية الإبداع ومواكبةً لأعمال المبدعين في تاريخنا العربي أولاً والآداب العالمية ثانياً، وتغنيه بكشف لغويٍّ خاص يعيد قراءة الإنسان والعالم، ترفده تجربة صادقة جذعها في الأرض معاناةً وحضوراً ضمن تحولات العالم ومتغيراته، وفرعها في سماء العصر لغةً تنأى عن المتداول والمستهلك من الجمل والعبارات، وتشتقُّ من معطيات العلم والطب والتكنولوجيا الحديثة وحركة المجتمع العربي التي تسهم من خلال خصوصيته في صنع مستقبل الحضارة والإنسان، المعاني والصور.

الإيديولوجي والإنساني والحضاري، ما دما في ميدان الشعر والفن، قيمته بما يحمل من إضافةٍ جمالية، وتعاملٍ

كتابي لا خطابي مع اللغة، وإضاءةٍ وجدانيةٍ لجوانب لا تزال
معتمدة في الذات العربية المعاصرة بتأثير عوامل ومعوقات
اجتماعية وتاريخية وثقافية.

وليست هذه المقدمة دراسة نقدية بالمعنى الأكاديمي
للكلمة. فهي لا تلتزم بمنهج نقدي معين كالمناهج الاجتماعية
والبنوي والتكاملي وغير ذلك من المناهج والمدارس النقدية
المتداولة على أقلام نقادنا. ولا هي من قبيل تسويق بضاعة
ما أو إعلان بالأسود والأبيض، وإن شئت بالألوان عن سلعة
ثقافية معينة بغية ترويجها بين الناس.

إنها ببساطة قراءة متأنية لنص جمالي تشدك نوافذ
كلماته إلى فضاء مسكون بهاجس الشعر. ولكن ما مفهوم
رشيد درباس للشعر؟

في القصيدة الموسومة بعنوان «الولادة على أوتار
البحر» جزء من الجواب يتيح لنا فهم المناخ العام
للمجموعة وتحديد درجة الحرارة والبرودة فيها ومدى

ملاءمة أجوائها العامة لذوقنا الأدبي وفهمنا لوظيفة الأعمال الفنية في مجتمعنا على الأقل.

يبدأ الشاعر قصيدته بالكلام على الحالة الشعرية وشیطان الشعر الممتد في عرض العينين وعَجَزِ عدسة القلم والورق عن تصوير ملامح هذا الزائر الغريب. فالعدسة مفتوحة والجفنان لا ينطبقان لالتقاط الصورة فتحترق الأخيلة وتعود الكف بقبض الريح.

ويضيء السهر غرفة الشاعر وتتجاذبه لجج الأشكال الفنية. وهذا ليس بغريب، فهو كإنسان يحيا في مجتمع تتعايش فيه أنماط متشابكة ومتناقضة من العلاقات الاجتماعية تنتسب إلى مراحل مختلفة من التطور. وهذا ما يفسر تعايش الأشكال الفنية في ساحتنا الثقافية وتجاذبها للمواهب بغية توظيفها في إطار رؤيتها الخاصة للحياة والإنسان والوجود. ولعل صرخته الداوية:

من يضبط إيقاع الأمواج لبحرٍ أو شلالٍ

الرد الطبيعي والعفوي لرجل ينفر من الموت
والسكون، ويفرح بكل ما هو حي متجدد. فالشعر حياة،
ومعظم الضوابط التي تقننه حدود للنظم وليست تعريفاً
للشعر كحالة من الفرح، بوساطة اللغة كأداة.

أضف إلى ذلك، أن القصيدة عبر شريطها اللغوي
تطرح مسألة الكتابة الشعرية. ويتساءل رشيد درباس
بلسان الصياد الحائر كيف يتم صيد لآلئ العالم؟ أبالنظم
سطراً سطرًا أو خيطاً خيطاً، أم بشبكة من المفردات
والصور؟ والخيط والشبكة ما مصدرهما الخلق بالفن؟
الذهن أم الحياة في صيرورتها المستمرة؟

ويختار الشاعر الانتماء إلى المدرسة الواقعية،
مستفيداً من مفهوم «رودان» للحركة في الفن ومقولات
الناقد والشاعر والرسام الراحل الأستاذ رضوان الشهال في
كتابه الأخير: «عن الشعر ومسائل الفن».

وفي رأيي أن نهاية القصيدة قصيدة بحد ذاتها لو

قال الشاعر: «والشعر سؤال»، ولكن هاجس الصراع بين
القديم والجديد هو الذي حمله على القول:

والشعر سجال

وهنا يتشكل يخضور الألفاظ على وهنٍ

والشعر سؤال

فالقريحة هي الأم الحامل بجنين الإبداع. والألفاظ
أزاهير السطور والتمثيل الكلوروفيلي الذي تقوم به هذه
النباتات الصوتية والمكتوبة حين تشرق عليها شمس التجربة
فتتغذى بثاني أوكسيد الآلام نهاراً وأكسجين الفرح ليلاً هو
الحياة. فالشعر إذاً سؤال متجدد حول اللغة والإنسان والعالم
والوجود، ويخضور ألفاظه ومعانيه بهجة لعين المتلقي
وبصيرته ونقمة للشاعر المغامر المسكون بضلالة البدعة.

وهذه الصورة كما هو ظاهر وليدة ثقافة تراثية
وعلمية فهي تنطلق من الآية الكريمة: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِرَءَائِهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ

إِلَى الْمَصِيرِ»، ومن النظرية العالمية المعروفة في عالم النبات.
أما القصيدة الأولى في المجموعة: «عينك الشط
الأفريقي» فتجربة فنية ناضجة عاشت في صدر صاحبها
وخياله ووجدانه ما يقرب من عشرين عامًا، حتى استوت
نصًا أدبيًا جديرًا بالقراءة والنشر. بعض أبياتها يعود إلى
شباب، روائح الجنة فيه، أيام طَلَبِ العلم في جامعات
مصر، والقاهرة يومذاك عاصمة الفكر والقلب والمد
القومي المتصاعد وبعضها الآخر مشدود إلى مرحلة التراجع
وغياب الوجه الأسمر والمعاهدات التي بددت مجد حطين
وإرث صلاح الدين، وجعلت عملاق «قصر الشوق» و«بين
القصيرين» و«السكرية» يصدر الفتاوى التي تغتال أقرط
الرطب على شاطئ النيل، وتسد مجراه في وجدان الأمة.
وعلى طريقة الصوفي الشهير «النفري» تتسع رؤيا الشاعر
وتضييق عباراته فماذا يقول؟ لم يبق إلا الاعتصام بخضرة
الأرض الطيبة ومروحة الملح الزرقاء وما يرجعه الكروان من
أنغام وما يضخه النيل من ذكريات في الوجدان والشریان.

أما القصيدة الثانية فمهداة إلى والد الجسد ووالد
الروح فقد سئم الشاعر في بابل الزمن العجيب من تزامم
الشياطين والمدججين بالسلاح على قتل السلام وطرد
الطيور من سماء لبنان ومدينة الفيحاء. وهاله تكاثر نسب
الشهادة وتراجع نسب الوفيات، وآلمه الموت المجاني، فلاذ
بقبر أبيه يشكل الآس ويقرأ الفاتحة، ويبعث طير السنونو
المهاجر سلامًا. ولكن صورة الأب في القصيدة متداخلة
تترجح بين الذاتي والعام، إذ يظن القارئ أن الخطاب موجه
لوالد الجسد حين يستوقفه المقطع الآتي:

كم مرة أخطأت أو أخطأتُ

حين ظننتُ أنك مخطئُ

فغفلتُ عن نفسي وعكّرنا الوثاما

ما أكثر هذا المشهد في مجتمعاتنا العربية، والد
عجمت عودَه الأيام والتجارب ينصح فلذة كبده بالابتعاد
عن السياسة، وشاب يشتعل عقله حماسة لفكرة آمن
بها، فيظن أن أباه رجل دجّنته ظروف حياته وحجّرتَه

«ميدوزا» النكبات والليالي، فيتمرد الشاب ويحمل درع
أفكاره المصقولة بإيمانه وإخلاصه وأحلامه. وفي غفلة عن
نفسه يسقط في تجربة الحقوق. وتتكرر مأساة «أوديب»
في زي معاصر. ولكن نهاية المقطع سرعان ما تردنا إلى
مفهوم الأب العام، فالشاعر يبكي أحلامه وأحلام اليتامى
المفجوعين بغياب رمزهم في النضال، وقائد مسيرتهم
الوطنية والقومية كقوى صاعدة في المجتمع.

ومن لقطات القصيدة وجواهرها الفنية:

وستائر الشباك... ما عادت تراقصها

الجوانح والصبا

وقول الشاعر:

الآن تأخذني خطاي مفتشاً بين الغصون

مسائلاً عنك الجدارا

ومحاولاً أن أقتفي الطيف

الذي ما إن بدا حتى توارى

وأهيم يخدعني التمني...
كلما صادفتُ طولاً فارغاً
أو لمّةً بيضاء أو عينين ساطعتين...
أو شاهدت غارا

وقوله:

قلت العظام تشابهت بعد الردى
وغدت نثارا...

وقوله:

أترى تنفست البذورُ الزهرَ من كمدٍ

والصورة الرائعة، فالبذرة هي الكائن الحي المُسْتَجِنُّ
في رحم الأرض، والزهر أنفاسها وحركة شهيقها وزفيرها.

والقصيدة الرابعة وعنوانها «جناحان» فأجمل
ما فيها بالإضافة إلى الحروف الدانية قطوفها فوق المتن
والدواة التي تتحدى الموت بإكسير الحبر والكتابة، هذا
الاعتراف الوجداني العميق الذي يصوّر مشاعر الآباء في كل

العصور حين يرون قرة أعينهم في رياض الشباب وبيع
أيامه العابقة بالأمان والأمانى:

لأنك أمسي لأنك من فاتني أن أكون

أما قصيدة «همزة الوصل» فهي الذروة العليا في
هذه المجموعة. وأذكر أنني حين كتبتُ عنها قلت إن
الشاعر يدرك المضامين اللغوية والسياسية والحضارية
التي يثيرها هذا الرمز. فدلالته في الوجدان العربي واضحة
المعالم. ومن منّا لا يعرف موقع الألف من أحرف الهجاء،
ولم يعانِ من قواعد الهمزة كتابةً ونطقاً؟

والقصيدة بمضمونها العام تمجيد للنضال العربي
وحذاء لقوافل الشهداء وخاصة للمقاومة الوطنية في الجنوب
اللبناني من خلال امرأة اقترنت بالموت - الحياة، فخرجت
بذلك على رتبة الاحتلال. وقد مجّدها الشاعر بوساطة خلق
تصويري معادل لفعلها في التغيير، فرفض العبارات الجاهزة
ليكون الفعل الكتابي موازياً لنظيره الواقعي.

فالمقاومة الوطنية في الجنوب همزة وصل وقطع،
إنها تصل الجانب المضيء من حاضرننا بنقاط الضوء في
ماضينا، وتقطع في الوقت نفسه العقدة التي تقيد حركة
الأرض والإنسان بحبل عدوان غاشم. وقد اختار رشيد
درباس زاوية جديدة لالتقاط أبعاد التجربة، فهو لم يكرّر
ما سبق تصويره في موضوع الكفاح والنضال والشهادة،
بل اهتم للجانب الإنساني، فَوَجَّهُ الشهيدة الذي هطل
على الشاشة الصغيرة كان وجه فتاة في ميعة الصبا، عيناها
تتألقان بحب كبير، ونظراتها الساهمة تتجه صوب حبيب
واحد هو الوطن. ولهذا صار الرمش سلگا ونظرة الحب
صاعق تفجير، والقلب نبضا لقبلة تُحرّر بيتَ الحبيين
وسقفه من البوم والغربان:

كيف صار القلب نبض القلب

كيف صار الرمش سلگا مدّ من صاعق

لحظ باتجاه المرحلة

كما اهتم لابنته اليا نعة التي كادت تحفظ الأمثولة

ورأيت لها فصاحة المعلمة وطريقتها في عرض الدرس،
وأشفق على فلذة كبده أن ترفع من صف الطفولة وضفة
الأحلام إلى صف الفداء وضفة الدم. ومن جواهرها الشعرية:

جيمنّا الحبلى تهز السطر تهمي شفقا

فوق الحروف المهملة

تلد اللؤلؤ...

تُزجيه أكاليل تهادت في فضاء الجلجلة.

فحرف الجيم، وهو الحرف الأول من كلمة جنوب
صار على يد الشاعر المقاومة الحبلى بالخلاص ووضع النقاط
على الحروف فداءً وعطاء. وشكل الجيم ببطنها المنتفخ
ونقطتها التي تخلقت جنيناً (ج)، يعيد إلى الأذهان معجزة
الحمل من غير دنس، وذكرى البتول التي استمطرت سَعَفَ
النخل رطباً جنيناً. إنها تهز السطر، وتهمي فوق الحروف
غير المعجمة شفقا وأفقا. فهي مقاومة مباركة تلد المعنى
المقدس، وليست إرهاباً من صنع الشيطان، والطريق
جلجلةً وأكاليل شوكٍ وتضحياتٍ ومن ذلك:

حدثيني... عن بنان

تضغط الزرَّ ابتغاءَ الجنَّتَيْنِ

عن دماءٍ سدّدت للدورة العظمى

كُرَيَّاتٍ... ودَيْنُ

حدثيني عن مذاقِ

خَلْفَتُهُ آخرَ الأنفاسِ

فوق الشفتينِ

مفتاح هذا المقطع آية قرآنية كريمة وبيت للمتنبي.

أما الآية فقولُه تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾.

أما البيت فقول أبي الطيب:

إِلْفُ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الْأَنْفِ —

سُ أُنَ الْحَمَامِ مَرُّ الْمِذَاقِ

وليس من شك أن كلمة «بنان» وجملة «وَدَّعَ الصدرَ»

ورغبة السائل في معرفة مذاق النفس الأخير فوق الشفتين،

أمور تشهد برهافة الحس وشفافية الشاعر وبراعة التعبير.

فالشاعر يسأل الأنامل وهي تضغط الزر السحري الذي
يفتح أبواب الحياة، والهواء الذي ودّع ساعة الصدر الخافقة
فَعَطَلَ الدورتين الدمويتين الصغرى والكبرى في جسد الشهيد،
ويطلّ الجواب من وراء حجب الكلمات «المهمة تنقية رثتي
الوطن من سموم الاقتتال». فدورة الشهيد حول نفسه، ودورة
دمائه بكرياتها الحمراء والبيضاء حول الوطن والإنسان، صورة
مصغرة للحياة ودورتي الأرض الصغرى والكبرى. أما مذاق
آخر الأنفاس فوق الشفتين فطعمه معروف لأهل الطريقة
ومن هم في مقام النضال وحال الشهادة.
ومن ذلك أيضًا:

ما الذي سَوَّى شعاعي سعفًا
أهي الأحلام باللون البلخ
أم هي العين على جفن قزح...
من قوام النخل أشتقُّ المعاني الفارعة
أقتفي الأنساغ من فلق النوى
حتى النجوم اليانعة

إن الشاعر في هذا المقطع يلون أحلامه بقوس فرح
جديد. البلح لون فيه، وكذلك الرطب والتمر وسعف
النخل المتمواج والعين المتألقة على جفن قرح، وهو يقتفي
نسغ الحب والحياة، من فلق الحبة والنواة حتى النجوم
المتلألئة التي أينعت وحن قطاف ضوئها.

وقد جاءت نهاية القصيدة متساوقة مع بداءتها.
فالهمزة، ك رأس عين صغيرة، حين انطلقت برقاً من الأعماق،
وَشَعَ القول بين قطبي الحياة والموت، وهطلت وجوه
الشهداء على شاشة الفداء، جَعَلَت الياء تمطر بالرؤى
والأفعال، وتسعى أَلْفُ الزمان إلى نونه لتصبح علامةً
فارقةً للأجيال الصاعدة التي تصل الماضي العربي بالحاضر
والمستقبل، وتتابع مسيرة حضارتنا كحضارة أذن وعين وتأمل
وفعل:

وانتظرت الفجر... من منعطف الأذن

إلى حقل العيون

شَقَّتِ الضاد عن الصوتِ اليقين

شَيَّدْتُ مِنْ أَلْفٍ... عَرَّشَ الْأَذَانِ
وَمَمَّصْتُ تَسْعَى إِلَى نُونِ الزَّمَانِ

ويكفي الشاعرَ شهادةً على إبداعه قولُ الدكتور
حسام الخطيب في هذا النص: «إن لغة رشيد درباس التي
تستعمل أدوات العصر قد حافظت على النسق الجمالي للغة العربيّه
ولم تداخلها الهجنة».

أما قصيدتا «عود البدوي» و«رضوان»، فالقاسم
المشترك بينهما أنهما نُظِمَتَا في صديقين حميمين، الأول
موسيقيٌّ وعازفٌ، ريشته تفتّر عن ألف نغم ولون، وهي
حين توشوش الخشب اليابس يخفق بالسحر والحياة، فتورق
الألحانُ في الأسماع ويتفاح عبير العزف في القلوب والنفوس
على أنغام سلم طبيعي أصيل، الرست فيه مقامٌ يتأبى على
السلم المعدل في الموسيقى الغربية ورمزها آلة البيانو:

ريشَةً تفتّرُ أجنحةً
كلما حامت على وَتر

غَضَّةٌ... إن وشوشَتْ خشبًا

أو دعتَه... خفقة الشجر

وهذا البدوي المسافر على أجنحة النغم يصقل
الأذواق في الحضر وقبضة يده في صدر عوده قلب ناطق
ونقراته خفقات أرواح لا أوتار:

قبضة كالقلب نبضُها

تدفعُ الأنغام... من نَهْرٍ

في عروقِ العودِ دورثُها

بين عَزَفِ الجِنِّ... والبَشْرِ

لكأنَّ اللحنَ منهملٌ

من رفيفِ الروح... لا الوتر

ووصف الآلات الموسيقية في تراثنا العربي قديمًا وحديثًا
أمر لا يحتاج إلى دليل. ويكفي في هذا المجال، وعلى سبيل
المثال لا الحصر، موصوفات الشاعر «كشاجم» في العصور
القديمة وقصيدة «الكمّان» لأمين مشرق في العصر الحديث.

والثاني شاعر وناقد ورسام، جرار صيفه ونخلته
الأعجوبة نافورة النبات، ومدرسته النقدية ورسومه،
حضور مستمر بالرغم من غياب الجسد. أليس سرير النواة
المتواضع بطن أرض حُبلى بخضر الأغاني ووشاح البرتقال في
لحظة الشروق والغروب.

فرضوان من معدن ينفع الناس ولهذا يمكث جسده
في الأرض جذع نبع نقيّ الماء، وتُساقطُ نوافير نخيله
ظلّ أبوة يأوي إليه الأبناء هرباً من هجين الميول ولعنة
الإنحراف والوحوّل. فالرجل يرسم بالأبيض والأسود كلّ ما
من شأنه أن يبقى عصيّ الذبول في الروح والنفس:

ولوّنُ البنفسج يذوي عيائاً...

وفي النفس يبقى عصيّ الذبول

تواصّعت نوم النوى في الثرى...

ونوافير تخلّك... تغزو السهول

فللفقيد سلام الحمام، وبين يدي أفكاره وآرائه

وريشته يطيبُ مثوُلُ العقل والقلب والقريحة، فالشعر
مَوْجَهُ إِلَيْهِ وعنه. أما رأيهُ في ما يقول الشاعر فمعروف ما
دام النص من خمر تلك العناقيد والأعنان:

نزِيلَ الْجَنَانِ سَلَامُ الْحَمَامِ عَلَيْكَ هَدِيْلَ هَوَى لَا يَحْوُلُ
أَوْجُهُ شَعْرِي إِلَيْكَ وَعَنكَ وَأَرْقُبُ رَأْيِكَ فِي مَا أَقُولُ

وفي قصيدة «لدي خارج الزجاج» يستغل الشاعر في
تمجيدِهِ لثورةِ الحجارة قضية التصوير بالموجات الصوتية،
ويرقب بعين الأُمَّةِ نوعَ الأجنة وفعلة الخلق، ويستعيدُ
ذكرى السحابة التي قال لها الخليفة العباسي هارون
الرشيد: «اذهبي أُنَى شئت فإن خراجك سيعود إلينا»:

لدي حيث شئت... ففي بيت لحم مآل الخراج

أجل! في بيت لحم يولد السراج في مذود، ويطوف
على صبية صغار، قاماتهم الباسقة تظلُّ الآلام التي تعللهم
بما في القدر من طعام. ولا شيء غيرُ الحصى والحجر الذي
يمسك عليهم حياتهم بعد نضجه في قدر الأم/الأرض،

وتلألؤه بين أيديهم سلاحًا يدقون به سمع العالم الصامت
على جرائم الاحتلال الاستيطاني. فهؤلاء العشاق الصغار
خليفتهم وطن، وييدهم قياد الصخور وزلزالها، وإرث
هابيل ونصل التراب وسيوف الأنهار المقاتلة والمقتولة،
وضحكتهم هي التي ستخرق جدار الصوت والصمت
وتنفقاً العيون الزجاجيه وهجنة أطفال الأنابيب:

وتخرق ضحكة طفلٍ جدارَ الخبرِ
أغيري علينا... لتلوي لجام الحجر
فيغدو رشيقاً... سديدَ النظرِ
ويفقاً تلك العيونَ الزجاج...

أما المحور الثاني من قصائد المجموعة، وهي على
الترتيب «الترجمة على ورق الورد» و«الفل الزاجل»
و«تقاسيم على الكمان» و«رباعيات من لغة الزهر» و«فرّ
من قلبي الحمام» و«دخان» و«انفصام» و«آخر الأبيات»،
فقصة رجل غارق في السحر والحب والفتنة حتى الأصغرين
من قلب ولسان حتى الأذنين، يصغي لهتاف الرموش

المسدلة ورعشة سنابل الجسد وبريق المقل. ولا أدري ماذا
كان حظ رشيد درباس من هذه التجارب؟ ربما كان حظه
لذة نظر وإيماءة جفن على مذهب ابن أبي ربيعة أو كتابة
على ورق ورد:

وَدَعِيَ ما بيننا... رهن الذهول
أو سرب قصائد وخضر رسائل:

يرف الشراع...

تهل القصائد...

سرباً فسرّاً

وهل يصفو النشيد ويُكْتَبُ الشعرُ دونَ حُبٍّ يشقى
فيه الكمان - الصدر، ومع كل نغمة يأتي الجواب مع
الأنفاس والأنغام؟ هل من مزيد؟

أحبك... حُبَّ الكمانِ لكفٍّ

تُقَلَّبُ فيه المواجه

يشقى الكمانُ ويبغي مزيداً

الحبيبة دائماً على مرمى عبير الحب، والليل عاطر
بوعد من الشذى، وقهوة الصباح يسري فيها هال العينين
في طعم الكلمة والصورة والحرف. والأسرار حارسها الأمين
الفل والبنفسج والياسمين وأكرم به من حارس:

ثم أصحو في مذاق الفل... أحسو قهوة الصبح

فيسرى الهال من عينيك في طعم القصيدة

فكتمناه... وخبأنا هوانا

في المآقي وائتمنا الياسمين

إنها لغة الزهر يكتبها فصيح النرجس وبلوغ الفل،
ويهجى الحنين عطرها:

بفصيح النرجس البري... شكلت قفيره

وبليغ الفل والجوري دبجت سطوره

هجاً العطر الحنين

والفراشة التي حطت في سواد المقلتين امتنعت، فلم
تصل إليها يد الحب، لا سبيل إلى تحقيقها في الواقع إلا من

خلال زورق الشعر:

فَمَدَدْتُ حَبِي نَحْوَهَا...

نَفَرْتُ...

وَرَقْتُ فِي مَقَامٍ... بَيْنَ... بَيْنَ

أما خنجر التبغ الذي تطعن الحبيبة به صدرها
على غرار العشاق في قصص الحب العذري، فوقع حلقات
دخانه وطعم نصله في قلب العاشق يملأ زوايا الخافق
المعذب وحدقة العين:

شَفَتَاكِ

أَغْمَدَتَا دَخَانَ التَّبَغِ

فِي الصَّدْرِ الْأَتُونِ

تتداخل الحلقات في دورانها

بعض ترسَّب في زوايانا

وبعض في العيون...

وما دامت نجوُّ النخل أعلى من الذراع، وتلك

الرياح المحمومة بالحياة ليست لشرع الورق، فليعقل
البحار مرساة زورقه:

اعقلِ المرساة... هذي الريح ليست لشرعك
ونجومُ النخل... أعلى من ذراعك

وحدها الأنفاسُ والزفرات تدلي بالأحاديث المقتولة
على الشفاه:

حسبُها الأنفاسُ تدلي بحديثٍ لن تقوله

ووحدها آخر الأبيات الخمر المعتقدة في دنان الذاكرة،
ووحده العاشق الشراب الذي ترشفه المعشوقة المجهولة
حتى الثمالة كهمسَةٍ أو خاطره:

وارشفيني

همسةً...

أو خاطره

تلك هي أهم مفاتيح هذه المجموعة الشعرية
من حيث التجربة والمعاناة. أما ما يتعلق باللغة والإيقاع

العروضي، فاللغة مجتمعة على لسان صاحب هذه الأضاميم، وقاموسه الشعري متنوع الألفاظ والمفردات والأنساق التعبيرية، من جمل خبرية وإنشائية، وتقديم وتأخير وفصل ووصل وغير ذلك من التراكيب المعروفة في لغة الضاد. هي لا تضمن على القارئ بمعانيها، بل إنها في الغالب تقدم المعاني في غلالة شفافة من الألفاظ، فتثير القارئ وتنساب إلى الآذان والأفئدة، حتى أنك لا تشعر بوطأة نظم أو تكلف صناعة، ربما لأن الشاعر يغرف من بحر ولا ينحت من صخر.

وألفاظ رشيد درباس تحمل، إلى جانب معانيها الوصفية ووظيفتها التعبيرية، رصيْدًا شعوريًّا يتكئ على كل ما هو عام في الوجدان الإنساني، بحيث يجعلك تحس بانفعاله مع كل لفظة تتسرب إلى خاطرك. وهو يعبر عن أدق المعاني وأعمقها بأقرب الألفاظ المأنوسة والكلمات المتخيره. وإذا وقع القارئ على بعض الألفاظ القاموسية المهملة التي أحيها الشاعر من خلال وضعها في سياق

يومئ إلى معناها، كلفظة الماء بمعنى الماء وسواها، فأمر
يحمد عليه القائل ولا يلام.

وما أكثر الألفاظ المهملة في تراثنا، لا لعلّة فيها
بل لداء في الشعراء والكتاب هو الكسل. فلماذا التعب
والشهرة مضمونة، والمتداول من الكلمات كافٍ ووافٍ
بتجاربهم وأذواق قرائهم؟

وعلى الإجمال فالألفاظ المجموعة فصيحة جزلة لا
ركاكة فيها ولا ابتذال وهي بخلوها من التعقيد اللفظي
والمعنوي والاضطراب الفكري والتعبيري والأخطاء اللغوية
والنحوية تكاد تكون نسيج وحدها، في زمن سادته
أعراف الاستهلاك، وقيمه الهابطة، وسيطرت عليه الفوضى
والمزاجية، ونَسَخُ تجارب الآخرين بالكربون إن أمكن.

وقل مثل ذلك عن التشابه والاستعارات والكنائيات
وما اصطلاح على تسميته بالصور البيانية، فقد استحالت
هذه القوالب بين يدي الشاعر إلى صور شعرية معاصرة،

ملونة بمعطيات الطبيعة وانفعالات النفس الشفافة
الشاعرة ومنجزات العصر.

وصاحب المجموعة يعرف أن الصورة الشعرية هي
المقياس الذي تتفاضل فيه قرائح الشعراء، ومن هنا كان
حرصه الشديد على التعبير بالصورة لا الفكرة وقد أنقذ قناعُ
التصوير لغته من السقوط في هاوية المباشرة والخطابية،
وآفات النظم التعليمي، وبرودة الوعظ والإرشاد.

ولعل خلوّ المجموعة من أي خللٍ عروضي راجع إلى
أمرٍ عدة أجملها في ما يأتي:

أولاً: معرفة الشاعر الجيدة بالضوابط الإيقاعية
للشعر العربي ودوائره العروضيه وبحورها.

ثانياً: ولع صاحب المجموعة بالموسيقى الشرقية
وإدمانه على سماع أساطين النغم في تراثنا الموسيقي
العربي وعلاقته الشخصية ببعض علماء هذه الفن كالأستاذ
محمود العجان وسواه من العلماء ومهرة العازفين.

ثالثًا: إفادته من المناقشات التي كانت تدور في
منتدى طرابلس الشعري، بكوكبة شعرائه ونقاده، حول
مفهوم النص الأدبي، وصحة اللغة ودورها كأداة في العمل
الفني، وأهمية التعبير بلغة معاصرة عن التجارب الإنسانية.
مقدمة طويلة اقتضتها طبيعة المغامرة التي قام بها
الشاعر، وهي في الوقت نفسه قراءة مقتضبة لأفق يغوي
العين ويغريها بلامح فضاء واسع هو فارس الحلم واليقظة.

ميناء - طرابلس - لبنان

٢٦ حزيران ١٩٩١

عيناك الشط الأفريقي

الخضرةُ ترتادُ الزرقه
وتشفُّ الوحشةُ عن رقه
عيناك الشط الأفريقي
مطرٌ ينهالُ
وتبقى الأرضُ تعاني حرَّ الشمسِ المحترقه
حبَّاتُ الرملِ توهجُ عند الغابِ
كدرّاتِ ألقه
دغلٌ يتغلغلُ في حدقه
دغلٌ تنسابُ صفائره... يُرخي ورقه
والموجُ يسرحُ شَعْرَ الأشجارِ العبقه...

النورسُ ييسطُ للنسماتِ شراعَيْنِ
يستلُّ الألوانَ النَّزِقَةَ...
ويروحُ الريشُ يدغدغُ سطحَ اليمِّ
يزوِّقُ من سِحْرِ شَفَقِهِ



بَصَمَاتُ العَيْنِ على قلبي... وَشَمُ
وحدائقِ أحلامي وَشَمُ
وحنيني يُورِفُ لَبَلَابَا
فَأَفِيءُ إِلَيْهِ وَأَنْفَصُمُ
وَأَغَادِرُ مَرْوَحَةً لِلْمَلَحِ دُقِقْتُ إِلَيْهَا مَسْمَارًا...
وحنيني يُشْرِعُ أَبْوَابًا
أَتَسْلُلُ مِنْهَا خَارِجَ دَوَارِ الزَّمَنِ
وَأَفْتَحُ فِي الْأَزْرَارِ
لَتَغْنِي أَطْيَارُ الْفَنَنِ

نَعْمَا يَنْسِينِي مَا يَتَسَرَّبُ مِنْ أَلْوَانٍ...
لَكَأَنَّ النِّيلَ يَشْقُ الْمَجْرَى فِي الْوُجْدَانِ
يَتَفَرَّعُ فِي أَنْحَائِي...
يُخْصِبُ ضَفَاتٍ وَجِنَانِ
وَيَبِثُ السَّكَرَ فِي الْقَصَبِ
وَيَلْأَلِي أَقْرَاطَ الرُّطَبِ
فَتَهْيِجُ خِيَالَاتِي...
تَتَسَلَّقُ بِاسِقَةٍ
وَتَرْفُ عَلَى سَعْفِ الذَّهَبِ
لِتَهْيِمَ مَعَ النِّهْرِ الْمَعْبُودِ...
تَتَأَمَّلُ كَيْفَ يَفْجُ... يَسِيلُ...
يَعَانِقُ بَحْرًا ثُمَّ يَعُودُ
يَقْتَادُ الْخُضْرَةَ دَاكِنَةً
يُلْقِيهَا فِي أَحْضَانِ الْبَيْدِ...

لِيَفِي بِالزُّرْقَةِ يُرْسِلُهَا أَصْدَاءَ نَشِيدُ
تَتَرَدَّدُ مِنْ جَنَابَاتِ الْكَرْنِكِ عِبْرَ الْقَلْعَةِ... وَالْهَرَمِ
تَتَرَامَى... فِي صَحْنِ الْأُمَمِ
وَالنُّورِ يُسِطُّ أَشْرَعَةً
تَشْتَاقُ لِرَجْعِ التَّصْفِيقِ
تَشْتَاقُ الشَّطَّ الْأَفْرِيقِي



هَا إِنِّي... أَرْتَعُ بِالْجَلْبَابِ
أَجُوبُ شَوَارِعَ قَاهِرَتِي...
يَا قَاهِرَتِي...
مَنْ جُرِحَ خَضَّبُ ذَاكِرَتِي...
شَاهَدْتُ «الْكَامِلَ»... يُنْقِصُ إِرْثَ صِلَاحِ الدِّينِ
وَيَبْدُدُ مَجْدًا فِي حِطِّينَ...
مَلِكٌ... مَا قَدَّسَ... سِرَّ الطِّينِ...

أَتَوَغَّلُ فِي الْحَارَاتِ
فَأَدْرِكُ أَنْ غَرَابَ الْبَيْنِ
قَدْ عَشَّشَ مَا بَيْنَ الْقَصْرِينِ
فَتَوَارَى مِنِّي قَصْرُ الشُّوقِ
لِذَهْوٍ فِي نَوْرِ الْعَيْنَيْنِ



وَتَهْيِجُ خَيَالَاتِي
تَتَدَاغُ كَالْمَوْجِ الْعَاتِي...
وَتَغْوِصُ إِلَى قَاعِ يَزْخَرُ...
تَتَدَاخُ الرُّؤْيَا وَاسِعَةً
وَتَضِيقُ... تَضِيقُ... عِبَارَاتِي...
لَكَأَنَّ النِّيلَ يَضْخُ الذِّكْرَى فِي الشَّرِيَانِ
يَشْجِينِي تَرْجِيعُ الْكُرْوَانِ
تَمْتَرِجُ الْخَضِرَةُ بِالزُّرْقَةِ

أَتَعَلَّمُ فَنَّ التَّحْلِيقِ
عَيْنَاكَ الشَّطَّ الْأَفْرِيقِي
عَيْنَاكَ الشَّطَّ الْأَفْرِيقِي

القاهرة - طرابلس
١٩٨٢-١٩٦٢

النار أخذت القصيدة

إلى أبي... وجمال عبد الناصر

طير السنونو هاجرت من حَيِّنا
وتناثرتُ أعشاشُها عن سَقْفِنَا
فَتَشَقَّقَ القرميدُ من هلعٍ
لطولِ غيابِها
وستائرُ الشُّبَّاكِ... ما عادتُ تُراقِصُها
الجَوَانِحُ والصَّبَا
فتهاوتِ الألحانُ وانكسرتْ على وَترٍ... نَبَا
واصطكَّتِ الأشجارُ من حطابِها...

هذى الأليفة...

- قال أهلي عندما كنا صغاراً -

من ديار الحجّ تقصّد بيتنا... عامّاً... فعاماً...

في صيدها... نأتى حراماً

تقضي المناسك... ثم تُقبِلُ نفحةً قُدْسِيَّةً...

ودّاً... وثاماً

كان الربيع بركبها...

في حضنه طابت مُقاماً

كانت ترفرفُ كالملاكِ مجنّحاً...

والطفلُ ناماً

أبتاه ضيّعنا الزماماً

أمسى الحرام محللاً في ليلةٍ منها اختفى ضوءُ القمرِ...

في بابلِ الزمنِ العجيبِ

تَرَاحَمَ الخلقُ المدجّجُ... والرّمزُ

وتزاحمتْ خُرُسُ الشياطينِ الأخرُ

إني لمُصْدِقُكَ الْخَبْرُ
إني لمُصْدِقُكَ الْخَبْرُ
طير السنونو... هاجرتُ
من قبل أن تلقى السلاما



في الشعر... رَدَدَتِ الْعَرَبُ
أَنَّ «مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ»
غُصْنَا عَمِيقًا فِي الرِّغَامِ... وَلَا ذَهَبٌ...
وَمَضُ الشَّرَارَةُ يُرْهَقُ الْأَبْصَارَ فِينَا... لَا لَهَبُ
مَا عَادَتِ الْأَشْعَارُ تُلْهَبُ حِسِّنَا...
فَالنَّارُ أَحْمَدَتِ الْقَصِيدَةَ
وَالنَّارُ بَرَّدَتِ الْعَقِيدَةَ
إِنْ الرِّصَاصُ وَسِيلَةُ التَّعْبِيرِ فِي فَرْحِ الْخِتَانِ
وَفِي الْوِلَادَةِ

نِسْبُ الْوَفَاةِ تَرَاجَعَتْ... وَتَكَاثَرَتْ نِسْبُ الشَّهَادَةِ
وَمَوَاكِبُ الْآبَاءِ تَمْشِي فِي وَدَاعِ شَبَابِهَا
أُضْحَتْ مَشَاهِدَنَا الْمَعَادَةَ
فَلِمَ الْمَلَامِ تَصُبُّهُ... وَلِمَ الْمَلَامُ؟؟
أَنَا لَسْتُ مَرْتَدًّا... وَلَسْتُ مَبْدَلًا جَلْدِي...
وَلَا ارْتَحَلْتُ خِيَامِي...
مَا زَالَتِ الْأَحْلَامُ تُزْهِرُ هَجْعَتِي
مَا زَلْتُ أَرْسُمُ فِي الْمَنَامِ مَلَامِحَ الْوَجْهِ الْمَلَثَّمِ
لَكِنَّ طَعْمَ الْفَجْرِ عَلِقَ...
أَهْ مِنْ الصُّحُورِ الْمَبْدِدِ لِحَتْمَاتِ الْمَنَامِ
أَهْ وَقَدْ بَتْنَا نَكْذِبُهُمْ بِمَا قَالُوا... وَإِنْ قَالَتْ حَذَامُ



وَتَحَزُّ فِي صَدْرِي «لِمَاذَا»
وَتُلِحُّ كَالْمَنْشَارِ يَنْهَشُ مِنْ يَقِينِ

كان لي يومًا... ملاذا....
كلُّ يسأَلُنِي... لماذا ضيَّع القلبُ الصوابًا؟
وأنا أسأَلُهُمْ... ولا نجدُ الجوابًا...
لِمَ هكذا يا سعدُ أوردتَ الإبلُ؟
ولِمَ التسمُّمُ باتَ من طبعِ القُبُلِ؟
لِمَ عصَّبَ القمرُ العيونَ بغيمةٍ
وأشاحَ عن فيحاءٍ يأكلها اللظى
وتجاهلَ البارودَ يلتهمُ الزَّهرُ؟
ولِمَ الحرارةُ من دمايَ تسرَّبتُ؟
ولِمَ الدماءُ تخثَّرتُ...
وتقصَّفتُ خُصرُ العروقِ على الشجرِ؟
لِمَ هذه النظراتُ...
تقدح بالشرِّ؟

وإلى متى سنظلُّ نغتالُ الحماما...
ولمَ السنونو... هاجرتُ...
من قبل أن تلقى السلام؟



والآن
والأفكار فاقدةُ الطهارة بعدما اغتُصبتُ جهارا
الآن... قد شَفَّتْ غلائلُها...
فلا تُخفي عن الأنظارِ عارا
وقوافل الجُمَلِ المضلَّعةِ الصقيلةِ
ترصفُ الحقلَ الذي احتَضَنَ البذارا
الآن أشعرُ فجأةً... والشيب دَبَّ...
بأنني يُتِمُّتُ مذ غادرتَ دارا
ما زرتُ قبرك قبل هذا يا أبي...
قلتُ العظامُ تشابهت بعد الردى...
وغدت نثارا...

الآن تأخذني خطايَ إلى الضريح لأنزِفَ الدمعَ احتضاراً...
أو أستعيدَ الذكرياتِ مُوازناً فيَّ انهياراً...
ولعلني ألقى سنونوةً عصت... فتخلّفتُ
عن ذلك السربِ المهاجرِ فابتنتُ عشاً
وأنستِ المزاراً...
ألقى سنونوةً تناجيني...
وتسمعُ صرخةً قُمِعَتْ مرار...
الآن تأخذني خطايَ... مفتّشاً بين الغصونِ
مسائلاً عنك الجداراً
ومحاولاً أن أقتفي الطيفَ الذي ما إن بدا حتى توارى
وأهيمُ يخدعُني التمني... كلما صادفتُ طولاً فارعاً
أو لمةً بيضاء... أو عيين ساطعتين...
أو شاهدتُ غاراً...
يا مرفأ العيين هذا الليلُ قطبي...
وقد ضلّتُ سفينتنا المنارا...

يَمَّمْتُ قَبْرَكَ مِنْهَكَا...
من بعدِ أَنْ خُضْتُ الْعِمَارَا...
وَاجْتَزْتُ أوديةً مَلْفَقَةً... وَمَا حَكْتُ الْقِفَارَا...
وَرَكِبْتُ شَارِدَةَ الْجِيَادِ... شَهْرْتُ سَيْفًا مُسْتَعَارَا...
وَجَعَلْتُ حَنْجَرَتِي... مُكَبَّرَ ذَلِكَ الصَّوْتِ
الَّذِي خِلْنَاهُ يَوْمًا فَالِقًا صَخْرًا
وَقَدْ فَلَقَ الْعُبَارَا...
فَخَسِرْتُ حَنْجَرَتِي... وَأَرَصَدْتِي...
ذَوْتَ أَيْضًا... بِنَفْسَجَتِي...
وَصَارَتْ جَذَوْتِي أَثْرًا... وَصَارَ الْعَمْرُ مَخْتَصِرًا...
وَمَالَتْ نَجْمَةُ الْأَمَالِ عَنْ لَيْلِي... وَغَادَرَتِ الْمَدَارَا



الْحَقْلُ مَرْصُوفٌ...
وَبَعْضُ الزَّهْرِ يَنْبُتُ فِي الْحَوَاشِي...

وديبٌ عكازي يجسُّ الأرض...
يسبرُ غورها...
أترى تنفستِ البذورُ الزهرَ من كمدٍ
لتسرح في البلاطِ
تموّه الخسر انتصارا
أم أنها ستشققُ الإسمنتَ من عزمٍ
وتُحدثُ داخلَ الأرض... انفجارا؟
ما كنتُ مأخوذاً بذكرِ محاسنِ الموتى
فكم بنا... وكابدنا الخصاما...
كم مرةٍ أخطأت... أو أخطأتُ حين ظننتُ أنك
مخطئ... فغفلت عن نفسي... وعكّرنا الوئاما
لكنك الفردُ الذي لم يخدع الأبناء أو...
بردِ الحراما

والنجمُ موثوقًا مُشعًّا...
حين مَلَّاتِ المَجَرَّاتِ الظلاما...
يَمَّمَتِ تُرْبُكَ حَامِلًا روحا مولَّهة...
وقلبًا مُسْتَهَامَا
وبكِيتُ أحلامي... وأحلام اليتامى
وشكَلْتُ آسِكَ خَاشِعًا
وقرأتُ فاتحتي...
وأطعمتُ الحماما...
وبعثتُ والطيرَ المهاجرَ يا أباي
هذا السلاما...

طرابلس- المطل الأخضر
أيلول- تشرين ١٩٨٣

الولادة على أوتار البحر

يتمدد في عُرْضِ العَيْنَيْنِ
في العَدْسَةِ... أُخِيلَتِي احْتَرَقَتْ...
يستعصي إطباقُ الجَفَيْنِ...
أَتَعَذَّبُ بعضَ لِيَالٍ
تتجافى أَعْضَائِي...
لا الصَّخْوُ يَهْلُ... وَحَقُّ النُّومِ عَزِيزُ مَنَالٍ
شيطانٌ بينَ المنزِلَتَيْنِ
يتراقصُ فوقَ بساطِ الرِّيحِ
يدنو... ليراودُ كَفِّي بالذَّيْلِ الأَمْلَسُ
فتعودُ الكَفُّ بقبضِ الرِّيحِ

ولَئِنْ أُمْسَكْتُ خِيوطَ اللَّيْلِ لِتُسَلِّمَنِي
لخِيوطِ الْفَجْرِ...
وترقرق بين يديَّ الشعرُ...
عذبًا سَلْسَالُ...
يتدافعُ ألفُ سؤالٍ
تتجاذبُني لُجُجُ الأشكالِ
فيغيضُ الوحي... أَصْبُ الماءَ في غربالٍ
وأقولُ محالُ...
من يضبطُ إيقاعَ الأمواجِ
لبحرٍ... أو شَلالٍ...



وأحلقُ صَوْبَ غَمَامٍ...
أَتوسِّدُ حِضْنَ مُلَبَّدَةٍ... وأحاذرُ أن أرتادَ شَفِيفًا
كي لا أسقطَ منفردًا

- تتساقط غيثاً... لا زَبَدًا -
أَتَقَادِمُ فِي الطَّيَاتِ عَهْدُ
وَأَشَدُّ تَلَايِبَ الْغِيَمَاتِ لِأَقْدَحِ جَوْهَرَةٍ لِلجِيدِ...
يُعِينِنِي الْقَصْدُ... وَلَا تَ جَدِيدُ
فَأَلُوذُ بِصَدَقِ تَوَاضُلِهَا... أَتَلَقَّى الْوَمُضَ وَلِيدُ...
وَالْحَنُّ... مَا شَاءَ الْحِسُّ...
نَشِيدًا... أَوْ مَوَالُ
يَتَسَرَّبُ دِفْئًا... فِي الْأَوْصَالِ...



أَتَعَذَّبُ بَعْضَ لَيَالٍ
يَا لِلصَّيَادِ الْحَائِرِ كَيْفَ يَصِيدُ لَآلُ
هَلْ يَطْرَحُ خَيْطًا... أَمْ شَبَكًا...
أَمْ يَفْتَلُ مِنْ مَنَدُوفِ الذَّهْنِ حِبَالُ؟
تَتَنَاهَبُهُ أَدْغَالُ الْيَمِّ... فَيَضْرِبُ فِي قَفْرِ الْأَعْمَاقِ...

ويَقْصُ بِرَيْقِ حَصَاهُ...
لَكِنَّ الْقَلْبَ يُصَوِّبُ أَخْطَاءَ الْأَحْدَاقِ...
وَيُهِيلُ النُّورَ...
الْجَوْهَرُ يَكْمُنُ فِي الْمَسْحُورِ
يُسْتَلْهِمُ مِنْ أَوْتَارِ بُحُورِ
تَتَمَاجُ أَجْيَالًا... أَجْيَالُ...



وَأَرْفِرُ مَدَّ ضِفَافٍ
أَتَنَفَّضُ فِي ظِلِّ صَفْصَافٍ
وَأَعَافُ مَلَوْنَ أَقْدَاحِ...
لَاعِبَ الْمَاءِ بِمِلْءِ يَدَيَّ
تَتَدَفَّقُ فِي حُرُوفِ النَّهْرِ...
أُسَابِقُهَا فِي قَصَبِ الرِّيِّ
تَتَحَوَّلُ زَنْبَقَةً سَطَعَتْ

أَوْ حَبَّةَ زَيْتُونٍ بَرَعَتْ
فِي حَقْلِ خِيَالٍ



الْعُمْرُ سَحَابَةٌ... آه
تَتَدَاعَى أَخِيلَتِي مَرَّاهُ
فِي الصَّفْحَةِ تَنْدَلَعُ الصُّورُهُ
فِي الصُّورَةِ سِرُّ الْأُسْطُورَةِ
يَجْلُوهُ الصَّائِغُ حِينَ يَسُكُ الْبَصْمَةَ فِي الْآفَاقِ
مِنْ كَوَّةٍ غَامِضِهِ... يَنْبَثِقُ الْعِقْدُ الْمَفْرَدُ
كَيْ يَتَدَلَّى فِي الْأَعْنَاقِ
وَالْعُمْرُ صَبِيبُ جَبَاهُ
وَبَنَاتُ شَفَاهُ
بَثْيَابٍ مِنْ دَابُّ الْمِنْوَلِ
وَالشَّعْرُ ذَوَابَاتُ الْجَدُولِ

والقمحُ تَوَهَّجَ في المِنجَلِ
أَتَوَهَّجُ بعضَ لِيالٍ
تتخايلُ أغصانُ في البالِ
وتتصمُّ الرِّيحُ...
لقاحُ الرِّيحِ حلالُ
وهنا... يتشكَّلُ يَخْضُورُ الألفاظِ
على وَهْنٍ
والشعرُ... سِجَالُ



طرابلس- شباط ١٩٨٤

جناحان

إلى ولدي توفيق

نَشَرْتُ جَنَاحَ الْفَخَارِ... خَفَضْتُ جَنَاحًا حَنُونُ
وَرَحْتَ تَمُدُّ الْمَهِيضَ... بَرِيشٌ عَجِيبُ الْفَنُونُ
فَأَقْطَفُ مِنْهُ حُرُوفًا... تَرْفَرُفُ... فَوْقَ الْمُتُونُ
وَأَعْرِفُ مِنْ هَسْهَسَاتِ الرِّفِيفِ... شَجِيَّ اللَّحُونُ
أَلَوْنَ بِالْمَرْهَفَاتِ السَّنَانِ... حَقُولَ الْعَيُونُ
فَمِنْكَ امْتَشَقْتُ الدَّوَاةَ النَّمِيرَ... بُوْجَهَ الْمَنُونُ
أَرِيقُ الْمَدَادَ... مَدَى وَاحِدَةٍ... مِنْ بَدِيعِ الظَّنُونُ
أَرَانِي بُوْجَهَكَ أَنْقَى... وَأَرْقَى... وَوَعْدًا هَتُونُ

أرى السالفاتِ تَجَدَّدُ فيكَ... فتحلو السنونُ
لأنَّكَ أُمسي... لأنَّكَ... من فاتني أنْ... أكونُ

همزة الوصل

همزتي أه من الأعماق، يائي ماطره
بين قطبين... يشعُّ القول... يرتجُّ المجال
يثقبُ البرقُ رقادًا، تومضُ الشاشةُ،
منها يهطلُ الوجهُ، فيخضلُّ الخيال...
إنه الوحي. الدماء...
رحلة من أحرف الأرض... إلى كلمتها
عبر السماء
هكذا المتن... سناء



جُمَلْتِي رَجُعْ لِإِمْلَاءِ الْكَوَاكِبِ
فَاقْرَأُوا الضَّوْءَ كَمَا تَكْتُبُهُ الشَّمْسُ
وَيَتْلُوهُ الْقَمَرُ
صَحَّحُوا الْأَلْوَانَ وَالْأَحْدَاقَ:
إِنَّ الرُّوحَ تَفْتَضُّ خِدَاعَ الْأَقْنِيَةِ
وَادْخُلُوا فِي وَاحِدَةِ الْبَثِّ نَخِيلًا يَنْشُرُ الْإِرْسَالَ مَشْحُونًا
بِرِّخَاتِ الْخَبَرِ...
وَارْصِدُوا الزَّلْزَالَ فِي وَجْهِ الْحَجَرِ...



مَا الَّذِي سَوَّى شِعَاعِي سَعَفًا
أَهِيَ الْأَحْلَامُ بِاللَّوْنِ الْبَلَخِ
أَمْ هِيَ الْعَيْنُ عَلَى جَفْنٍ قُرْخٍ...
مَنْ قَوَامِ النَّخْلِ أَشْتَقُّ الْمَعَانِي الْفَارِعَةَ
أَقْتَفِي الْأَنْسَاغَ مِنْ فَلَقِ النُّوَى
حَتَّى النُّجُومِ الْيَانِعَةِ

جِئْمُنَا الحُبْلَى... تَهْزُ السُّطْرَ، تَهْمِي شَفَقًا
فَوْقَ الحُرُوفِ الْمُهِمَلَةِ
تَلِدُ اللُّؤْلُؤَ... تَرْجِيهِ أَكَالِيلَ تَهَادَتْ فِي فِضَاءِ الْجُلُجْلَةِ
كَيْفَ صَارَ القَلْبُ
نَبْضَ القُنْبُلَةِ
كَيْفَ صَارَ الرَّمْشُ سِلْكًَا
مُدَّ مَنْ صَاعِقٍ لِحِظٍ
بِاتِجَاهِ المَرْحَلَةِ



قَدْ عَجَمْتُ النِّصَّ، خَطًّا... وَفَوَاصِلُ
وَشَمِئْتُ الحَبَّ... إِشْعَاعَ أَنَامِلُ
وَمَلَأْتُ اليَاءَ... مِنْ بُوْحِ الجَدَائِلِ
هَمَرْتِي بَرْقُ مِنْ الآهَاتِ فِي لَيْلِ المَحَابِرِ
أَنْشَبْتُ فِي رُقْعَةِ الوجهِ المَشَاعِرِ

إِنِّي أَدْمَنْتُ جَمْعَ الْبَرْقِ فِي بُرْجِ الدَّفَاتِرِ
مَنْ وَمِيضِ السَّطْرِ... تَدَاخُ الْخَوَاطِرُ
تَجْدَلُ الْمَوْجَ دَوَائِرُ...
فَإِذَا مَا أَجْدَبَ الْبَحْرُ...
وَرِيحُ الْوَصْلِ جَفَّتْ فِي شَرَايِينِ الْمَضَائِقِ
أَنْعَشْتَنِي رُثَّةُ الْفُلْكِ تَحُضُّ الرِّيحَ وَالْأَشْوَاقَ
لِلْفُلْكِ الْمَسَافِرِ
حَدَّثَنِي... عَنْ بَنَانٍ
تَضْغَطُ الرِّزَّ ابْتِغَاءَ الْجَنَّتَيْنِ
عَنْ هَوَاءٍ وَدَّعَ الصَّدْرَ
وإِلْفَ الدَّوَرَتَيْنِ
عَنْ دِمَاءٍ سَدَّدَتْ لِلدَّوَرَةِ الْعُظْمَى
كُرِّيَّاتٍ... وَدَيْنُ
حَدَّثَنِي عَنْ مَذَاقٍ

خَلَفَتْهُ آخِرُ الْأَنْفَاسِ
فَوْقَ الشَّفَتَيْنِ

❖ ❖ ❖

يقبع الشاعر... فوق الضِّفَّةِ الزرقاءِ
يَكْتَالُ جَدِيدَهُ
كَلَّمَا رَقَرَفَ رَيْشُ
وَجَنَاحُ الْقَصِيدَةِ
نَزَعَ الرِّيشَ وَأَبْقَاهَا عَلَى قَارِعَةِ الْجَبْرِ قَعِيدَهُ
رَاعَهُ... وَالْوَجْهَ مِلءَ الْوَجْهِ
أَنْ الضِّفَّةَ الْحُمْرَاءَ
تُعْرِى الضِّفَّةَ الزرقاءَ
بِالرُّوْيَا الْبَعِيدَةِ

❖ ❖ ❖

صَوْتُكَ الْمَغْسُولُ بِالْأَحْمَرِ...
وَالْهَمْسُ الْحُنُونُ
رَنَّ فِي زُرْقِ الشَّجُونِ
فِي خَوَابِي الضَّادِ... عَتَّقْتُ الظُّنُونُ
وَانْتَظَرْتُ الْفَجَرَ... مِنْ مُنْعَطَفِ الْأُذُنِ
إِلَى حَقْلِ الْعَيُونِ
شَفَّتِ الضَّادُ عَنِ الصَّوْتِ الْيَقِينُ
شَيَّدَتْ مِنْ أَلْفٍ... عَرْشَ الْأَذَانِ
وَمَضَتْ تَسْعَى إِلَى نُونِ الزَّمَانِ

آذار ١٩٨٥

حديث الصنوبر

يُنْسَلُ هَذَا الصَّوْتُ مِنْ إِبْرِ الصَّنَوْبَرِ
وَيُشْنِي نَعْمًا مِنَ الشَّجَنِ الْمُعْطَرِ
فَيَهْرُنِي
وَيُئِنُّ فِي صَدْرِي كَمَا وَخَزَ الْحَنِينُ الْقَلْبَ
فِي جَسَدٍ تَخْدَرُ
يَعْتَاذُنِي نَسَمٌ... نَسِيتُ مَذَاقَهُ أَوْ كِدْتُ
لَوْلَا ضَوْعَةُ بِالرُّوحِ تُذَكِّرُ...
الْأُولَيَاتُ تَشْدُنِي كَالصَّمْغِ يُلْصِقُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ رَوَايَ... بِمَا تَأَخَّرُ...
وَالصَّمْغُ... رَحْبُ زَجَاغَةٍ مَسْحُورَةٍ
أَرْنُو... فَأَجْلُو فِي مَدَاهَا... مَا تَسْتَرُّ

يَجْتَاحَنِي طِفْلٌ تَوَاشَبَ...
ما استطاعَ النَّيْلَ من قَمَرٍ على شَجَرٍ تَكَوَّرَ
فتوشوشُ الأَكْوَازُ من فَرَطِ الجَوَى
ما كان حَبَّاءُ في ثَنَياها...
وَأَنْكَرُ
وَوَجَدْتُهُ وَأَنَا أَطَاوُلُ طَيْفَهُ
ينسابُ من لَمْسِي...
وَيَخْبُو حينَ يَظْهَرُ...
فَأَحَارُ... أَيَّ الخُمُسِ... تَجْمَعُ شَمْلَنَا
وبأَيِّ منعطفٍ... من العُمُرِ المُبْعَثَرِ
وبأَيِّ مُنْقَلَبِ الظَّلَالِ
سَأَرْتَدِي ظِلِّي القَدِيمَ
وَبُرْدَةَ العَهْدِ المُطَهَّرِ

فَأَثُوبُ مِنْ فِيءٍ تَمَزَّقَ نَسْجُهُ...
يَا لِلشُّعَاعِ... يَجِلُّ فِي الشَّجَرِ الْمُعَمَّرِ...
عَجِبِي... وَقَدْ زَلَقْتَ عَلَى بُسْطٍ مِنَ الْقَشِّ
الْهُمُومُ
فَضَمَّهَا... غَضٌّ... وَأَخْضَرُ

صيف ١٩٨٦

عود البدوي

إلى الموسيقي الفنان جوزيف البدوي

أَقْلَعْتُ مِنْ مَذْرَجِ السَّمَرِ
مَتْنُهَا... وَالشَّرْبُ فِي سَفَرِ
رَيْشَةٍ تَفْتَرُّ أَجْنَحَةً
كُلَّمَا حَامَتْ عَلَى وَتَرِ
غَضَّةٍ... إِنْ وَشَوْشَتْ خَشْبًا
أَوْدَعَتْهُ... خَفَقَةَ الشَّجَرِ
يَتَنَدَّى وَصْلُهُ... شَجْنَا
عَرَقًا بِالْوَجْدِ... وَالدُّرِّ

من صبيبٍ يغتذي وَّرَقِي
يخزنُ الأصداء... في صُورِ
كيفَ أوقَدتَ النَّديَّ لظِّي
وشحنتَ العودَ بالشررِ
وصَهَرْتَ اللحنَ مُنْكَبًا
عَصَبًا... من صُلبِ منْصهرِ
نَمَلْتُ أوتارُنَا طربًا
وتناهتْ نَشْوَةُ الخَدْرِ
في مقاماتِ الجوى قِمَمُ
دَرُبُهَا بالسَّلمِ الخَطِرِ
راحَ يرقاه رشيقُ رُؤْيِ
راسخُ الرُعْشاتِ والأَثَرِ

بدويٌّ ممعنٌ سَفْرًا
يَصْقُلُ الْأَذْوَاقَ فِي الْحَضَرِ
سَاعِدٌ يَمْتَدُّ مِنْ رُءْيَا
يَفْسُحُ الْأَنْسَامَ... لِلْعُمَرِ
قَبْضَةٌ كَالْقَلْبِ نَبْضَتُهَا
تَدْفَعُ الْأَنْغَامَ... مِنْ نَهْرِ
فِي عُرُوقِ الْعُودِ دَوْرَتُهَا
بَيْنَ عَرْفِ الْجَنِّ... وَالْبَشَرِ
رَاحَةٌ تَنْدَسُّ فِي مُهَجٍ
أَنْمُلُ... شَبَّتْ عَنِ الْبَصَرِ
رِيشَةٌ لَوْلَا مَدَى يَدِهِ
لَمْ تَفِضْ سَحْرًا وَلَمْ تَطِرْ

نَقْرَةٌ تَنْدَا حُ أَخِيلَةً
فِي حُلِّ الْفَيْضِ... مِنْ نَزَرِ
لَكَ أَنَّ اللَّحْنَ مِنْهُمْ لُ
مِنْ رَفِيفِ الرُّوحِ... لَا الْوَتْرِ
❖ ❖ ❖

رضوان

ألقيت في ذكرى الأربعين
للفنان الراحل رضوان الشهبال
في الرابطة الثقافية - طرابلس

رَحَلْتَ
وظلُّ حَيَاثُكَ وَهَجٌ...
يُضَرِّجُ شَمْسَكَ بَعْدَ الْأَفُولِ
فَلا الْأَفُقُ يَنْصُو وَشَاخًا مِنَ الْبَرْتَقَالِ
وَلَا اللَّيْلُ يَرْضَى سَدُولُ
وَلَوْ أَنَّ الْبَنْفَسَجَ يَذُوي عِيَانًا...
وَفِي النَّفْسِ يَبْقَى عَصِيَّ الذَّبُولِ
تَوَاضَعْتَ نَوْمَ النَّوَى فِي الثَّرَى...

ونوافير نخلِكَ... تغزو السهول^(١)
وَحُسْبُكَ أَتَكَ أَنْتَ الْكَمِيُّ
الْأَبِيُّ
الْغَنِيُّ
السَّخِيُّ الْحَقُولُ
وَأَنْ يَرَاكَ خُضْرُ الْأَغَانِي
وفي النَّائِبَاتِ... يَرَاكَ... نُصُولُ
وَحُسْبُكَ أَتَكَ نَبْعُ تَقِيٍّ
تحامى المسيل... جَوَارَ الْوَحُولِ
لنملاً منه الجرار لصيف^(٢)
شديد الهجير
عسير الهطول
نبذت الهواجس... إرهاب ذهنٍ

(١) إشارة إلى قصيدة رضوان: صبية نخلتنا كالحياء أعجوبة نافورة من نبات.

(٢) مجموعته الشعرية «جرار الصيف».

تَغَرَّبَ بين هجين الميولُ
فَهَمَّتَ الحداثةَ نبضَ الحياةِ
ودفقاَ تجددَ كَرَّ الفصولُ
وشمَّتَ القصيدةَ... ومضًا بليغًا
فشعرٌ يُدِلُّ
وشعرٌ يدولُ
رَحَلَتْ
حَفَرَتْ القلوبَ بِلينِ السجايا
وفنٌّ يثيرُ الذهولُ
فبالضوءِ
فوق سوادِ الليالي
نَحَتَّ الصباحَ أَمِيرًا يَصُولُ^(١)
وفي غابةِ الأرزِ تُدلي الغصونُ بسرَّ الجذورِ

(١) لوحة «أمير الصباح» وهي تمثّل ديكًا وقد رسمت بطريقة «الجراتاج».

ببَعْدٍ يَهُولُ^(١)
نَقَشَتِ الْجَنُوبَ
ذِرَاعًا فَجَذْعًا
يَصَارِعُ وَحْشًا
وَيَصْرَعُ غَوْلُ^(٢)
رَسَمَتِ الْخِيُولُ... تخوض الغمارَ
ونحن سمعنا صهيل الخيول^(٣)
يرفُّه مِنْكَ الرُّضَى أَنْمَلًا يَا سَمِينًا
تَذَلَّهُ بَابِنِ الْبَتُولِ^(٤)
ومعجزُ أحمدَ
من ريشَتَيْكَ
فهذي تخطُّ ... وتلك تقولُ^(٥)

(١) لوحة «غابة الأرز».

(٢) لوحة «الجنوب».

(٣) لوحة «الحصان العربي».

(٤) الإشارة إلى لوحة «السيد المسيح» التي رسمها تجسيدًا لبيت سعيد عقل:

شاعر رفه الرضا شفتيه ينثر الياسمين بالكلمات

(٥) صورة «المتنبي».

تَبَّتْ الرِّسَالَةُ جِيلًا فَجِيلًا
وَكُلُّ جَوٍّ مِثْلُنَا يَا رَسُولُ
وَلابنِ رِبِيعَةَ بَيْنَ الْجَمَالِ صَدِيقُ
يَحَازِرُ كَيْدَ الْعَذُولِ
وَيَقْتَرُ ثَغْرًا
إِذَا الْعَيْنُ مِنْ هُودَجِ الْحَجِّ أُمْتُ بَشْرٍ يَطُولُ^(١)
وَمَارُونَ يَهْطُلُ فَوْقَ الْكِتَابِ
ضَحْوَكَ
يَضْحُ بَدِيعَ الْفُصُولِ^(٢)



لِرِضْوَانِ فَوْحِ الْفَوَادِ الْوَفِيِّ
يَسَافِرُ طِيَّ جَنَاحِ الْقَبُولِ
نَزِيلَ الْجَنَانِ سَلَامُ الْحَمَامِ عَلَيْكَ
هَدِيلَ هَوَى لَا يَحُولُ

(١) صورة «عمر بن أبي ربيعة» عن البيت المعروف:

أُمْتُ بَعِينِيهَا مِنَ الْهُودَجِ لَوْلَاكَ فِي ذَا الصَّيْفِ لَمْ أَحْجِجْ

(٢) «مارون عبود».

مَثَلْنَا أَمَامَكَ نَشْتَارُ أَنْسَا
وَبَيْنَ يَدَيْكَ يَطِيبُ الْمَثُولُ
فَصَدَقُ الْحَنَانُ مَدَى رَاحَتِكَ
صَفَاءُ النَفُوسِ
وَدَفْعُ الْعُقُولِ
أَوَجَّهُ شَعْرِي إِلَيْكَ
وَعَنْكَ
وَأَرْقُبُ رَأْيِكَ فِي مَا أَقُولُ



كانون الأول ١٩٨٨

لدي خارج الزجاج

تُسَلِّطُ عَيْنَاكَ ضَوْءًا يَجُوزُ الْخَبَايَا
وَيَمْتَصُّ هَمْسُ الْخَلَايَا...

فَيَسْبِرُ نَوْعَ الْأَجْنَّةِ رَغْمَ الظَّلَامِ
يُحِيطُ عَنِ الْحُبِّ تَفَاحَةً مِنْ حَرَامِ
فَنَبْدُو بِعُزِّي أَيْنَا... وَتَبْدِينِ حَوَاءَ تَحْسُو الْمَعَانِي
بَلَا حَاجَةَ لِكُؤُوسِ الْكَلَامِ
عَلَيْكَ السَّلَامُ...
عَلَى فِعْلَةِ الْخَلْقِ أَلْفُ سَلَامٍ...



لِدِي حَيْثُ شُئْتُ... ففِي بَيْتٍ لَحْمَ مَالٍ الْخَرَجُ
وَمِنْ بَيْتٍ لَحْمَ يَطُوفُ السَّرَاجُ
عَلَى صَبِيَّةٍ مِنْ طَوَالِ الشَّجَرِ
عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي الْجِيَاعِ... وَقَدَّرُ الْحَصَى لَا تَزَالُ
تَعَانِدُ نَارَ الزَّمَانِ بِبَطْءِ الْمَكَانِ
أَلَا قَرَّ عَيْنًا... فَهَذَا أَوَانُ نَضِيجِ الْحَصَى سَيِّدِي يَا عُمَرُ
وَهَذَا ارْتِقَاءٌ لِعَصْرِ الْحَجَرِ...



هِيَ الْأَرْضُ تَسْعَى... فَتَأْبَى ارْتِدَادًا لِبَدْءِ الْخَلِيقَةِ
وَلَكِنَهَا فِي جَدِيدِ الْمَدَارِ
تَعِيدُ إِلَى طِينِهَا الْإِعْتِبَارَ
وَتَشْحِذُ فِيهِ سِلَاحَ السَّلِيقَةِ...
هِيَ الْأَرْضُ تُخْرِجُ أَثْقَالَهَا...
وَتُسَلِّسُ لِلْعَاشِقِينَ الصَّغَارِ...

قيادَ الصخورِ وزلزالها...
فكيف يراقُ زمانُ المعادنِ قبلَ الأوانِ...
وبعدَ فواتِ الأوانِ
وكيف يُخبِّأُ للوارثينَ زمانُ الهوانِ...
يَحُثُّ الشَّقَاقَ على داحسٍ... ليمزَّقَ نَسْجَ العناصرِ
ويوغَرَ صدرَ النهارِ الوليدِ بوقعِ الحوافِرِ...
متى الروحُ تحشرُ هايلها...
فينفضُ عنه ترابَ الضحية...
يشْهَرُ نصلَ الترابِ الخصبِ
وحدَّ الرياحِ...
ونهرًا طليقَ الجماحِ
متى النيلُ يمنحُ ودَّ الحبيبِ
ويخلعُ سَمْتًا غريبًا...
ومجرى تهْدَلُ فوقِ قوامِ رتيبِ



تَعَرَّيْ أَمَامَ الْمَلِكِ الْحَزِينِ...
أَثِيرِي فَحَوْلَتَهُ بِالْعُطُورِ الشَّهِيَّةِ مِنْ ضِفَّتَيْكَ
بَشَوْقِ النَّخِيلِ تَجَلَّى ارْتِعَاشًا مَدَى سَاعِدَيْكَ
تَبَارَكَ حَمْلُكَ أَنِّي يَكُونُ الْفِصَالُ
فِيَوْمًا سَتَنْمُو فُرُوعُ الْوَصَالِ
وَتَخْرُقُ ضِحْكَةُ طِفْلِ جِدَارِ الْخَبْرِ
تَفْضُ مِنْ الصَّدْرِ سِرَّ الرِّتَاجِ
فَنَحْنُ نَشِيدُ تَهَاوَى صَرِيحِ الرِّوَاكِ
أَغِيرِي عَلَيْنَا... لَتَلُوي لَجَامَ الْحَجَرِ
فَيَعْدُو رَشْقًا... سَدِيدَ النَّظَرِ
وَيَفْقَأُ تِلْكَ الْعَيُونََ الزَّجَاجِ...



الترجمة على ورق الورد

قَدْ قَرَأْتُ الدَّعْوَةَ الْمُضْطَرِمَّةَ
بَعْدَ تَنْصِيدِ حُرُوفِ ذَوْبَتِهَا الزَّفَرَاتِ
فَاسْتَبْنْتُ الْكَلِمَاتِ...
مِنْ هَسِيسِ الْهَمِّهِمَّةِ
وَبَرِيقِ الْمُقْلَتَيْنِ
وَاحْتِقَانِ الْوَجْنَتَيْنِ
مِنْ هَتَافِ بِالرَّمُوشِ الْمُسْدَلَةِ
وَارْتِعَاشِ فِي قَوَامِ السُّنْبَلَةِ
مِنْ حَفِيفِ الشَّفَتَيْنِ...



ليس سرًّا أني أتقنُ فنَّ الترجمة
إنما سرِّي أني غارقٌ في السحرِ حتى الأذنين
إن لجمتُ البوحَ... فوق الأصغرين
ثرثرَ الزهرُ على مدِّ الحقول
يا لقلبي من عبيرٍ لا يحول
عندما الوردُ يقول
فدعيه ينسجُ العطرَ على نولِ الذُّبول
ودعي ما بيننا...
رهنَ الدهول



طرابلس نيسان ١٩٨٨

الفَلُّ الزَّاجِلُ

أَرِيحُ يُّلَّ جَفَافَ الْحَيَاةِ
لِيُفْسَحَ لِلْأُنْسِ دَرْبًا...
وَيَسْعَى عَلَى زَاجِلٍ...

يَبِينُ رُوحٌ... وَرُوحٌ
فَيَجْتَازُ صَعْبًا

عَلَى فَلَةٍ مِنْ بَيَاضِ الْحَمَامِ...
تَقِلُّ الرِّسَائِلَ خُضْرًا
لِتَجْعَلَ صَدْرَ التَّنَفُّسِ... رَحْبًا...
تَبْتُ نَسِيمًا... يُوَاتِي شَرَاعًا...
وَقَلْبًا

يرفُّ الشراعُ...
تهلُّ القصائدُ...
سِرْبًا... فَسِرْبًا

طرابلس - أيار ١٩٨٨

تقاسيم على الكمان

لأنَّكَ أَنْتِ حَديقَةُ فَنٍّ
تَنفَسُ فُلًا... تَبوحُ ورودا
لأنَّ الغناءَ القديمَ بِظِلِّكَ يَغدو جَدِيدًا
حَبَبْتُ كَثِيرًا... لأَكْتُبَ شِعْرًا كَثِيرًا
وأَصِفُو نَشِيدًا
كَأَنِّي كَمَانٌ... تَوَسَّدَ جَدِيدًا...
يَعْنُ حَنَانًا...
يُرَبِّتُ سَحْرُ البَنَانِ عَلَيْهِ
لِيَسْتَلَّ مِنْهُ... أَنِينًا سَعِيدًا
وما الشعرُ إِلَّا صَدَاكَ...
تَجِيدِينَ أَنْتِ... فَأَبْدُو مُجِيدًا

وهذي الأغاني... تسرُّبُ فيَّ
تغورُ عميقًا... تصبُّ بعيدا
ويبقى نداها... يدُلُّ عليها...
يُخَرُّ منه نسيمُ الصباح...
تقاسيمُ تسري إليك... بريدا
وتحنو الليالي على قُطره، ليثَّ الفؤادُ
بصيصًا... عنيدا
أحبُّك... حُبَّ الكمانِ لكفٍّ...
تُقلِّبُ فيه المواجهَ
يَشْتَقِي الكمانُ... ويبغي مزيدا

طرابلس - أيار ١٩٨٨

رباعيات من لغة الزهر

يَعْتَرِينِي الرَّيْبُ
هل أَنْتِ على مرمى عبير الحبّ...
أَمْ صِرْتِ بَعِيدَهُ
إِنِّي أَغْفُو عَلَى حُلْمِ لِقَاكِ
يَعْطُرُ اللَّيْلُ بوعْدٍ مِنْ شَذَاكِ
ثُمَّ أَصْحُو فِي مِذَاقِ الْفُلِّ...
أَحْسُو قَهْوَةَ الصُّبْحِ
فَيَسْرِي الْهَالُ مِنْ عَيْنَيْكِ
فِي طَعْمِ الْقَصِيدَةِ



يَبْنِنَا مِنْ لُغَةِ الزَّهْرِ شُؤُونُ
فَلَةٍ يَوْمًا... وَفِي يَوْمٍ شُجُونُ
فَإِذَا مَا خَانَنَا التَّعْبِيرُ عَنْ هَمِّ الْبَنْفَسِجِ
هَمِّهِمْ بِاللَّوْنِ... هُذْبٌ... وَظُنُونُ



يَبْنِنَا سُرٌّ مِنَ الْعِطْرِ دَفِينُ
نَازَعَتُهُ لِضِفَافِ الْبُوحِ... أَسْبَابُ الْحَنِينِ
فَكَتَمْنَاهُ... وَخَبَّأْنَا هَوَانَا
فِي الْمَاقِي وَاتَّمَمْنَا الْيَاسَمِينَ



أَيُّ حُلْمٍ صَارَ فِي خَدِّكَ...
وَرْدَا
ثُمَّ صَفْصَافًا...
وَرْدَا

ثم بستاناً لِقَلْبِي
ثمَّ حُلُمًا...
عَادَ فِي اللَّيْلِ رَمُوزًا
سَوَّلَتْهَا النَّفْسُ...
وَعَدَا

❖ ❖ ❖

تَعْرِفِينَ الشَّعْرَ مَهْمُورًا يَأْثِقُاعَ الْحَزْنَ
بُحَّ قَلْبِي... حِينَ بُحِّ النَّايِ... وَامْتَدَّ الشَّجَنُ
أَتْرَاهُ صَوْتُكَ الْمَغْمُوسُ فِي شَمْسِ الْأَصِيلِ
أَمْ نَسِيمٌ يَجْرُحُ الْآهَ بِأَوْتَارِ النَّخِيلِ

❖ ❖ ❖

طرابلس - تموز ١٩٨٨

فرّ من قلبي الحمام

لم يَفْتَنِي من لغات الروض تعبيرٌ...
ولم أَنشُرْ عبيره
قُلْتُ حُبِّي... بِخُروفِ الياسمينِ
بِلَهَاثِ الهالِ... والزهرِ الحزينِ
بِفَصِيحِ التَّرْجِسِ البرِّيِّ... شَكَلْتُ قَفِيرَهُ
وَبَلِيغِ الفلِّ والجوريِّ دَبَّجْتُ سَطَوْرَهُ
هَجَّاءَ العطرِ الحنينِ
فلماذا يُعْرِضُ الحُبُّ
إِذَا دَلَّ الكَلَامُ؟
ولماذا فرّ من قلبي الحَمامُ؟

ليس ما يُلَفِتُ شباكي سوى صُفْرِ الخريفِ
رَاكَمَ اللونُ همومي... والحفيفُ
ليس هذا «الذهبُ المشغولُ»
إلا صفحاتِ الحُلْمِ في طيّ السنينِ
عندما هَمَّتْ بوصلٍ... شَحَّ في الأوصالِ
وَهَجَّ... ورنينُ

طرابلس أيلول ١٩٨٨

دخان

شَفَتَاكِ
أَغْمَدَتَا دَخَانَ التَّبَعِ
فِي الصَّدْرِ الْأَتُونِ
فَحَبَسْتِهِ
مَا طَاقَتِ الرِّثَانِ
وَاشْتَدَّ الْجَنُونُ
تَبْغِينَ مَحْوٍ مَلَامِحِ الْوَجْهِ الَّذِي يَحْتَلُّ قَلْبُكَ،
بِالشَّجُونِ
أَمَّا أَنَا فَدَخَانُ عَمْرِي بَثٌّ مِنْ صَدْرِي
مَلَامِحُكَ الَّتِي شَقَّتْ عَلَيَّ ... سِحْرُ الْفَنُونِ...

تتداخلُ الحَلَقَاتُ في دَوَرَانِهَا
بعضُ ترسَّب في زوايانا
وبعضُ في العيون...

طرابلس - تشرين الأول ١٩٨٨

انفصام

كفراشةٍ أَمِنْتُ
فحطَّتْ في سوادِ المقلتينِ
نَثَرْتُ غُبَارًا من جَنَاحَيْهَا...
فَخَطَّتْ في بياضِ القلبِ وَشَمًا
باديًا في كُلِّ عَيْنٍ...
رَقَصْتُ على إيقاعِ وهمي والجوى...
فَمَدَدْتُ قلبي نحوها...
نَفَرْتُ... وَرَقَّتْ في مقامٍ... بَيْنَ... بَيْنٍ...



وَكَزُورِقٍ... يُدْنِيهِ بَحْرُ الشَّعْرِ مَنِي...
كَلَّمَا هَذَهْدْتُ فِيهِ الزَّرْقَتَيْنِ...
مَنْ فَاتَحَ اللَّوْنَ السَّمَاوِيَّ انْزَلَقْتُ
إِلَى حُدُودِ الْعَمَقِ... خَفَقَةَ لُجَّتَيْنِ...
وَوَظَنْتُ أَنِي بَالِغٌ فِي ذَاتِ مَوْجٍ...
فَرَحَةَ اللَّقْيَا...
وَإِحْدَى النُّشُوتَيْنِ...
لَكِنِّي... لَمْ أَبْلُغِ الْكُحْلِي...
لَمْ أَدْرِكْ كُنُوزًا كَنَّهَا...
وَفَقَدْتُ أَمْوَاجَ الرُّجُوعِ إِلَى شَوَاطِيءَ...
مَنْ لُجَّتَيْنِ...
فَلْتَقْطَعِي الْمَرْسَاةَ حَتَّى لَا يَضِيعَ الْعَمْرُ نَهَبًا...
لَا نَفْصَامَ الضَّفَّتَيْنِ...

دمشق - حزيران ١٩٨٩

آخر الأبيات

إعْقِلِ المرساة... هذي الريحُ ليست لِشِراعِكُ
ونجوؤُ النّخلِ... أعلَى من ذِراعِكُ
اقْبِضِ الأشعارَ... هذي الصّفحةُ الخضراءُ
أَغْنَى من سرابٍ جفَّ في حَلْقِ يِراعِكُ



أَنْتَ أَطْلَقْتَ العَصافِيرَ الموشاةَ بألوانِ صَقِيلِهِ
ترطُمُ الصّدْرَ...
فترتدُّ قَتِيلَهُ
كيف ترضى للهوى شكلاً...
ولوناً... ووسيلةً

حَسْبُهَا الْأَنْفَاسُ تُدْلِي بِحَدِيثٍ لَنْ تَقُولَهُ



بَلَحْ لَحْنٌ... وَقَرَطْ أَحْرَفُ
نَخْلَةٌ أَنْتِ... وَشَعْرِي السَّعْفُ
لِلْبُحُورِ الْخُضْرِ... مَوْجٌ مُتَرَفُ
إِنْ تَمِيسِي... جُنٌّ فِيهِ الشَّغْفُ



آخِرُ الْآيَاتِ قَطْرٌ مِنْ غَيُومٍ عَابِرَةٍ
عَتَّقِيهَا فِي دِنَانِ الذَّاكِرَةِ
ذَوَّبِي مِنْهَا الْحُرُوفَ الْنَافِرَةِ
وَارْشِفِينِي... هَمْسَةً... أَوْ خَاطِرَهُ

تشرين الأول - ١٩٨٨

المحتويات

المقدمة	٥
عيناك الشط الأفريقي	٣٥
النار أخدمت القصيدة	٤١
الولادة على أوتار البحر	٥١
جناحان	٥٧
همزة الوصل	٥٩
حديث الصنوبر	٦٥
عود البدوي	٦٩
رضوان	٧٣
لدي خارج الزجاج	٧٩
الترجمة على ورق الورد	٨٣
الفلّ الزّاجل	٨٥
تقاسيم على الكمان	٨٧

٨٩	رباعيات من لغة الزهر
٩٣	فرّ من قلبي الحمام
٩٥	دخان
٩٧	انفصام
٩٩	آخر الأبيات